"الأريوسية والأرثوذكسية"

التسليم الرسولي للقديس بولس الرسول كما شرحه القديس أثناسيوس الرسولي

دراسة موجزة للمقالات ضد الأريوسيين

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

www.coptology.org

جدول المحتويات

تمهيد..٦
الحد الفاصل بين حركة التهود، والمسيحية في الكنيسة الجامعة:............٦
الأريوسية والأرثوذكسية في المقالة الأولى ضد الأريوسيين..................٨
عناصر تعريف الثالوث عن أثناسيوس.................................١٠
المحبة الثالوثية حركة حياة: ١١
خصائص الصورة: ١٢
تحذير الرسولي أثناسيوس للكل: ١٣
العبارات غير الواردة في الأسفار، والممارسة الكنسية: ١٣
أركان التدبير، وماذا يعني اتحادنا بالرب؟...............................١٥
إذن، ماذا حقق التدبير؟...١٦
بشارةُ حياةٍ، لا مجردُ غفران خطايا:....................................١٧
مسحة يسوع (مزمور ٤٥: ٧-٨)......................................١٨
لأجلنا: ١٩
يسوع الرب هو واهب الروح القدس (١: ٥٠): ٢٠

لماذا تقدَّس ناسوت الرب يسوع؟........................ ٢١
الإنسان الأول والإنسان الأخير – آدم والرب يسوع:.............. ٢١
صائرًا أعظم من الملائكة (عب ١: ٤):........................ ٢٢
المعنى الحقيقي لعبارة "صائرًا أعظم من الملائكة "(عب ١: ٤): ٢٢
صائرًا: ٢٣
الحضور المتجسِّد: ٢٣
الأريوسية والأرثوذكسية في المقالة الثانية ضد الأريوسيين ٢٥
شرح عب ٣ :٢ "كونه أمينًا للذي أقامه":......................... ٢٥
ما معنى أنه صار أمينًا؟..................................... ٢٦
المسيح رسولٌ ورئيسُ كهنة:.................................. ٢٦
الكهنوت الأبدي للرب يسوع: ٢٨
كيف وُصِفَ التجسُّد بأنه خَلْقٌ؟.............................. ٢٨
نحن والرب يسوع:... ٢٩
ماذا حقَّقَ المخلص؟ (٢: ٥٥). ٣٠
غاية الخلق الجديد: ٣٠
الطبيعة والنعمة:... ٣١
الطبيعة التي حررها الابن بدمه: ٣١

العداء الشديد للقديس أثناسيوس: ٣٢
أثناسيوس الرسولي بعيدٌ عن اللاهوت الغربي والقبطي المعاصر: ٣٣
الاتحاد بالله: ٣٣
تألُّه ناسوت الرب يسوع:.. ٣٤
الخلاص ليس مجرد أقوال، ولا هو تصوُّر عقلي: ٣٥
الأريوسية والأرثوذكسية في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٣٧
العلاقة الخاصة بين الآب والابن:.................................. ٣٧
ملء أُلوهية الابن وفداء البشر:.................................... ٣٩
الإله الحقيقي وإله الأريوسية:..................................... ٤٠
المسيح الرب، ونحن الذين نؤمن به:................................ ٤٠
الأريوسيون يكررون سقوط الشيطان: ٤١
الرسولي والاتهامات المعاصرة: ٤١
الأريوسية واستعلان الثالوث: ٤٢
الثالوث مثالٌ لنا:... ٤٣
هل هذا مجرد تشبُّه بالمثال؟ ٤٣
الكينونة الجديدة بالنعمة:... ٤٤
التحوُّل بالنعمة لا يلغي الطبيعة الإنسانية:............................ ٤٥

مقارنة لا تجوز في الأرثوذكسية: ٤٦

بدون الروح القدس نحن غرباء عن الله:......................... ٤٧

"الاتحاد بالثالوث"، الموضوع الغائب من التعليم المعاصر: ٤٧

لسنا في الثالوث من ذواتنا:................................ ٤٨

الذين سقطوا من النعمة:................................ ٤٨

أساس التدبير: ٤٩

قاعدة الإيمان: ٤٩

جسد الله وتألُّه الإنسان في المسيح: ٥٠

القديس اثناسيوس لم يُعلِّم بوراثة خطية آدم: ٥١

نَقَلَ الابنُ بداية التكوين الإنساني إلى كيانه:....................... ٥١

آلام وموت الرب حسب التدبير: ٥٢

الاتحاد بالناسوت جعل الناسوت يحيا حياةً إنسانيةً: ٥٣

ذكصولوجية للقديس أثناسيوس الرسولي ٥٥

تمهيد

عندما كتب T. W. Manson دراسته عن العلاقة بين رسائل بولس الرسول وإنجيل القديس يوحنا، كان يعالج فجوةً في دراسات العهد الجديد نتجت عن الاهتمام الأُحادي برسائل القديس بولس وفصلها عن باقي كتب العهد الجديد. يعود هذا الاهتمام الأحادي إلى حركة الإصلاح الأوروبية في (ق ١٦) عندما تحوَّلت رسائل القديس بولس إلى دفاع عن تعليم حركة الإصلاح ضد الكنيسة الكاثوليكية. غير أن العودة إلى شمولية التعليم الرسولي حدثت في بداية القرن العشرين عندما هدأت المعارك الكلامية، وبالكشف عن حركة التهود التي بدأت في عصر الآباء الرسل والتي حُكم عليها في مجمع أورشليم (أع ١٥). ولكن من رسائل القديس بولس، وبالذات رسالته إلى أهل غلاطية، يظهر لنا نشاط حركة التهود الذي دُوّن في كتب التاريخ الكنسي وفي قوانين مجامع مكانية مثل مجمع غنغرة.

الحد الفاصل بين حركة التهود، والمسيحية في الكنيسة الجامعة:

من رسائل القديس بولس ومما كُتب بعد ذلك عند الآباء المدافعين مثل حوار يوستينوس مع تريفو، تظهر لنا ثلاثة موضوعات جوهرية وأساسية:

١- الفهم المسيحي للعهد القديم برمته (الشريعة والنظام الطقسي). وسنرى أنه حتى في القرن الخامس عندما كتب القديس كيرلس السكندري دراسته "العبادة بالروح والحق"، كان الشرح المسيحي للعهد القديم هو الخط الفاصل بين المجمع

اليهودي والكنيسة.

٢- أُلوهية الرب يسوع المسيح؛ لأن ما استُعلن في المسيح كربٍّ ومخلِّصٍ، هو ما يضع الشريعة القديمة خارج التدبير، وهو الموضوع الرئيسي في رسالة القديس بولس إلى العبرانيين.

٣- نوال نعمة الروح القدس من الرب يسوع نفسه؛ لأنه عطية الله الآب مما يجعل أساس التدبير هو عمل الثالوث القدوس، وبالتالي يصبح أي خطاب عن الله هو بالضرورةِ خطابٌ عن الثالوث. وبالتالي، **فإن ثالوثية التدبير هي أساس كل شرحٍ لأي نعمة وُهِبت لنا من الرب يسوع، منه وفيه بالروحِ القدس**. و"منه"، و"فيه" هو الشرح الرسولي للقديس بولس الذي نراه في كل رسائله.

الأريوسية والأرثوذكسية
في المقالة الأولى ضد الأريوسيين(١)

١– الأريوسية ليست مسيحية (١: ٢). وحُجة القديس أثناسيوس هو الانضواء تحت أسماء معلِّمين، لا اسم المسيح: "وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الأريوسية بدلًا من المسيحيين" (١: ٢). وفي نفس هذه الفقرة كتب الرسولي أثناسيوس أن "أريوس حلَّ لديهم بدلًا من المسيح" (١: ٢).

٢– استند إنكار أُلوهية الابن واعتباره إلهًا مخلوقًا، خلقه الآبُ لكي يخلق المخلوقات، هذه المرة على نصوصٍ من العهدين القديم والجديد. وقد خصَّص الرسولي فقرات (٢: ١٨ وما بعدها) للرد على اعتراضات الأريوسيين التي استندت على نصوص العهد القديم، وسوف نعود إلى هذا الرد فيما بعد، ولكن كلمات (فيلبي ٢: ٩–١٠): "لذلك رفَّعَه الله"، (مزمور ٤٥: ٧–٨): "من أجل ذلك مسحك الله إلهك"، (عب ١: ٤): "صائرًا أعظم من الملائكة"، فقد شغلت الفقرات (١: ٣٧ – ٦٤).

---

(١) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ ديسمبر ٢٠١٨.

وما يهمنا في شرح هذه النصوص، أن نعرف كيف دافع أثناسيوس عن أُلوهية الرب، ولماذا يشتعل قلبه بنار محبته للمسيح. ففي كل رد نرى العودة إلى التعليم الرسولي كما دوَّنه القديس بولس، وكما يشرحه القديس أثناسيوس **في مواجهة موجة عارمة تحاول إرجاع المسيحية إلى الوثنية**، واعتبار يسوع مثل آلهة روما واليونان والعالم القديم.

ما هو إذن سِرُّ هذا الدفاع عن أُلوهية الرب، وأن الربَّ من ذات جوهر الآب؟ لقد نُفي الرسولي خمس مرات، وتعرَّض للقتل مرتين، ومع ذلك لم يغيِّر إيمانه، بل تحدَّى أعظم سلطة عسكرية وسياسية في ذلك الزمان، وهي سلطة الإمبراطور، وذلك تأسيسًا على:

أولًا: إن "الكلمة" ليس مجردَ اسمٍ بلا كيان (١: ٦). لأنه عندما تُعلِّم الأريوسية بأن الكلمة ليس إلهًا حقيقيًّا، وإنما هو إلهٌ بمشاركة النعمة مثل باقي الخليقة، فهذا يعني أن الآبَ منفصلٌ عن الابن والروح القدس. وهنا يتألق الرسولي بقوله: "لأنهم بعد أن ابتعدوا عن كلمة الله الذي هو كائن، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن، فسقطوا في العدم" (١: ٧)؛ لأن ما هو في عقل الإنسان –مهما كان– لا يؤدي إلى حياةٍ أبدية.

ثانيًا: استعلان الله الآب في الابن "الذي يُظهِر الآب ويعلنه" (١: ٨). ولاحظ قارئي العزيز هذه الكلمات:

> "كيف يمكن أن يتكلم (أريوس) باستقامةٍ عن الآب، وهو ينكر الابن الذي يُظهر الآب ويعلنه؟ أو كيف يعتقد اعتقادًا قويمًا بالروح القدس، بينما هو يفتري على الكلمة الذي يهب الروح ويعطيه؟" (١: ٨).

عناصر تعريف الثالوث عن أثناسيوس

في الفقرة (١: ١٨) يسجِّل لنا القديس أثناسيوس تعريفًا للثالوث:

"إيمان المسيحيين يُعرف الثالوث المبارك على أنه:

١- غير قابل للتغيير.

٢- كامل.

٣- كان وسيظل أزليًا دائمًا.

٤- لم يكن هناك وقتٌ ما كان ناقصًا.

٥- ولذلك، فإن إيمانهم (المسيحيين) يعرف الثالوث بصورة نقية ولا يخلطونه مع المخلوقات.

٦- يقدِّمون السجود للثالوث غير المنقسم".

والسبب في دقة هذا التعريف نراه في الفقرة ١٧ في نفس المقال، حيث يدافع الرسولي عن أزلية الابن ضد تعليم أريوس قائلًا:

> "إن لم يكن الابن دائمًا أزليًا مع الآب، فلا يكون الثالوث أزليًا، بل واحدًا مفردًا في البداية، وفيما بعد صار ثالوثًا بالإضافة. .. وإن لم يكن الابن مولودًا من ذات الآب، بل خُلِقَ من العدم، إذن يكون الثالوث قد تكوَّن من العدم، وكان هناك وقتٌ عندما لم يكن هناك ثالوث، بل واحدٌ مفرد. وهكذا يكون الثالوث في وقتٍ ما ناقصًا، ثم في مرةٍ أخرى يكون كاملًا. فيكون ناقصًا قبل صيرورة الابن، ويكون كاملًا حينما صار الابن، وعلى هذا الأساس تُحسَب الخليقة مع الخالق ... لكن حاشا لله أن يكون الأمر هكذا، فالثالوث ليس مخلوقًا بل هو أزلي ويوجد لاهوتٌ واحدٌ للثالوث ومجدٌ واحدٌ للثالوث القدوس" (١: ١٧ - ١٨).

إذن، التعليم عن الثالوث يسبق أي تعليم آخر. بل حتى في ممارسة السرائر، لأن الثالوث يُستَعلن في الليتورجية لكي يمنح الابن خبز الحياة. وفي سر المعمودية يمنحنا نعمة التبني.

لقد كانت الأريوسية تهدد وحدانية جوهر الثالوث. فاعتبار الابن مخلوقًا يعني نقص الثالوث واعتبار الثالوث مثل المخلوقات (١: ١٨). في حين أن الله لم يكن ينبوعًا جافًا وعقيمًا خاليًا من الحياة والحكمة (١: ١٩)، بل منذ الأزل الابنُ هو "الحياة"، ومنذ الأزل هو حكمة الآب خالق كل الأشياء. وكل ما يقال عن الابن لا يجب أن يهدم وحدانية الجوهر لأن الابن "مثل الآب" (١: ١٩)، هو كلمته وحكمته الذاتية، أي الخاصة بجوهره.

وفي عبارة يجب أن تكون مثل منارةٍ لنا، يحذِّر الرسولي الكل:

"**فأولئك الذين يقيسون صورة اللاهوت بمقياس زماني، فقد انحدروا إلى هوة ضلال**" (١: ٢٠).

المحبة الثالوثية حركة حياة:

في (١: ٢٠) يرسم لنا الرسولي أيقونةً فريدةً توضِّح لنا السبب الذي جعل الابن هو "صورة الله الآب"، فصورة الله ليست رسمًا لشكلٍ أو هيئةً خارجيةً، بل هي صورة الآب الوالد الأزلي للابن". وهنا نرى لمسة فنان ولاهوتي حقيقي: "فالآب يرى ذاته ويبتهج ولذلك كُتِب: "كنت أنا بهجته" (أم ٨: ٣٠ س). هذه الرؤيا كانت وستظل كذلك عندما يتجسَّد الابن. "فالآب لا يرى ذاته في صورة مخلوقة من العدم" (١: ٢٠).

خصائص الصورة:

أولًا: الصورة الذاتية للآب هي:

الأزلية – غير مائت – قدير – نور – ملك – ضابط الكل – إله – رب – خالق وصانع (١: ٢١). وهي ذات خصائص الصورة التي يرى فيها الآب ذاته، وهو ما يؤكد وحدانية الجوهر. وبهجة الآب في رؤية ذاته في صورةٍ ترسم ملامح "التدبير" بشكل أعمق بكثير مما نقول أو نكتب.

ثانيًا: مَن يرى الابن، يرى الآب:

الأسماء لها دلالة كيانية وليست مجرد أسماء (٢: ٢١)، ولذلك اسم "الصورة" هو اسمٌ يؤكد أزلية الابن، ذات أزلية الآب، أو بالحري أزلية واحدة. لذلك، استعلان الآب في الابن، ليس حشد أسماء، بل هو استعلان الكيان الإلهي للثالوث، وليس الابن وحده.

ثالثًا: إنكار أُلوهية الرب هو عودة للوثنية واليهودية (١: ١٠)، ولذلك استعان الأريوسيون بقوة الإمبراطور قسطنديوس لحماية الهرطقة الأريوسية، وهو ذات ما يحدث عبر التاريخ المسيحي من استعانة بالقوة السياسية لفرض عقيدةٍ ما.

رابعًا: الآب هو أصل الابن (١: ١٤)، ونسيان أو تجاهُل هذه الحقيقة، يُسقط الثالوث من وعي الذين يتحدثون أو يكتبون عن الله، ناسين أن الله هو الثالوث.

خامسًا: الابن هو الكلمة الخالق، وكل ما خُلق يشترك في الابن "حسب النعمة النابعة من الروح القدس" (١: ١٦). وشركتنا في الابن ليست شركةً في قوةٍ أو طاقةٍ، بل حسب كلمات الرسولي "هي شركتنا في الله" (١: ١٦). وهنا في هذه

الفقـرة، يعيـد الرسـولي كلمـات القـديس بطـرس: "مشـاركين في الطبيعـة الإلهيـة" (٢بطرس ١: ٤)، ويشرح الرسولي أن هذه الشركة في الطبيعة الإلهية تجعلنا "هيكل الله" (١كو ٣: ١٦ — ٢كو ٦: ١٦).

سادسًا: الخلق والخلاص، أو الفداء هو عملٌ واحد؛ لأن الخلق يتساوى مع الخلقة الجديدة (١: ١٦). والفعل "برا" في العبرانية يعني خَلَقَ، والتجديد وُصِفَ بأنه الخلقة الجديدة، وفي هذا يقول أثناسيوس:

> "وهذا (المولود) أيضًا هو المسيح الذي به قد افتُديت كل الأشياء،
> وبه أيضًا خُلقت الخليقة الجديدة".

سابعًا: الثالوث هو إلهٌ واحدٌ في ثالوث (١: ١٨) له مجدٌ واحدٌ، ولا يمكن تمزيـق الثـالوث إلى طبـائع مختلفـة باسـم أي عقيـدة أو أي تعلـيم؛ لأن هـذا يجعـل الثالوث مثل باقي الكائنات مستعبَدًا مثل كل مخلوق قابلٍ للتغيير (١: ١٨).

تحذير الرسولي أثناسيوس للكل:

"الله ليس مثل البشر ولا يقتدي بالبشر" (١: ٢٣). وكل نظرية أو تعليم تجاهَل هـذه الحقيقـة، ووَضَع الله تحت شريعة موسى، أنكـر أُلوهيـة الثـالوث لأن الشريعة وُضِعت للإنسان، وليس للثالوث القدوس.

العبارات غير الواردة في الأسفار، والممارسة الكنسية:

اعترض الأريوسيون على عبارة: "من ذات جوهر الآب"، أو "الواحد مع الآب في الجوهر"، "أو المساوي للآب في الجوهر"، حسب ما لدينا من ترجمات. وكان الاعتراض خبيثًا يهدف إلى إنكار وحدانية الثالوث. فقد استخدم الأريوسيون

عبارة: "غير المخلوق" لوصف الآب في محاولة لإنكار أزلية الابن، باعتبار أن غير المخلوق هو واحد. ولكن الرسولي ينقض ذلك مؤكِّدًا أن حكمة الله أيضًا غير مخلوق وليس له بداية، وأن بولس الرسول لم يكتب أن المسيح هو قوة من الله، بل هو "قوة الله وحكمته" لأن بولس لم يكرز بقوة لله، بل بقوة الله الذاتية والأزلية مع الآب" (١: ٣٢).

لا شك أن استخدام كلماتٍ ما له هدف أو أهداف، فاذا تعارَضْت هذه الكلمات مع جوهر الإيمان، كان الابتعاد عنها ضرورة، وإلَّا يكون التمسك بها، من قبيل خداع البسطاء. وقد كان الهدف من وراء كلمة "المساوي للآب في الجوهر" هو استعلان وحدانية الثالوث.

لذلك، فعندما يُسمي الأريوسيون "الآبَ" -بمكرٍ- "غير المخلوق" لكي يسمح لهم هذا اللقب بوضع الابن ضمن المخلوقات، يفضح القديس أثناسيوس هذا الخداع قائلًا:

> "إن لفظة غير المخلوق لا تُستعمل عن الله بالنسبة للابن، ولكن بالنسبة للمخلوقات التي هي عن طريق الابن، وهذا من الصواب لأنه ليس مثل المخلوقات، بل هو خالقها وصانعها بواسطة الابن" (١: ٣٣).

وفي الفقرة (٢: ٣٤) يفضح أثناسيوس مكر الأريوسيين هذا باستخدام الممارسة الكنسية فيقول:

> "حين علَّمنا أن نصلي، لم يقُل حينما تصلُّون قولوا: أيها الإله غير المخلوق، بل بالحري قال: حينما تصلُّون قولوا أبانا الذي في السموات، وهو بهذا أراد أن يركز على أساس إيماننا عندما أمرنا أن تكون معموديتنا ليست باسم "غير المخلوق، والمخلوق، ولا باسم

الخالق والمخلوق، بل باسم الآب والابن والروح القدس".

أركان التدبير، وماذا يعني اتحادنا بالرب؟

إن شرح فيلبي (٢: ٩-١٠) ليست عن مجدٍ أو رِفعَةٍ نالها الابن بتجسده، بل العكس هو الحق. كان إلهًا ثم صار إنسانًا، ومجده الأزلي لم يُفقد، بل لقد جاء لكي يؤلِّهنا نحن (١: ٣٩). تألُّه الإنسان ليس تألُّهًا ذاتيًا لأنه لا يحدث بدون اللوغوس. هو تبني الإنسان (١: ٣٩ - ٤٠). لقد مُجِّد الناسوت، أي نال المجد الذي للابن، ولذلك كل الذين نالوا التبني "صاروا متألِّهين من خلال اللوغوس".

"الكلمة هو صورة الآب، وهو غير مائت، أخذ صورة العبد، وكإنسانٍ عانى الموت في الجسد لأجلنا .. ولذلك مُجِّد لأجلنا (نحن)، **وبموته قد مُتنا جميعًا في المسيح**" (١: ٤١).

وكل ما كُتب عن التدبير هو لأجلنا "نحن الذين أُغلقت أمامنا أبواب الفردوس" (١: ٤١)، وصار مجده لنا بسبب الحق (البر) الذي هو المسيح ذاته" (١: ٤١).

وفي عبارةٍ غريبةٍ عن آذان البعض من اخوتنا، يكتب الرسولي:

"**إن مجد الله هو أن يعود الإنسان الذي خُلِق ثم هَلَك، وأن يحيا الذي مات وأن يصير الإنسان هيكل الله**" (١: ٤٢).

وتمجيد الابن كان دائمًا قبل وبعد تجسده. أمَّا تمجيده قبل تجسده، فسهلٌ عند مَن لا يقبل "عزة" الإنسان عند الله، أما بعد تجسده، فهذا شأنٌ آخر. عن ما قبل التجسد وما بعده يقول الرسولي أثناسيوس عن خدمة (عبادة) القوات السمائية:

"كان ولا يزال الرب يُعبد (والأفضل يُخدم) من القوات السمائية، ولما تم التدبير، فإن السجود الذي يُقدَّم للابن المتجسد "هو لنا نحن"

(١: ٤٢)، لذلك بعد تجسده لن تندهش القوات السمائية حينما ترانا نحن المتَّحدين معه في نفس الجسد، داخلين إلى حيثما هم. كان هذا مستحيلًا، ولكنه صار حقيقةً لأن الكائن الأزلي ابن الله الذي هو صورة الله غير المنظور (كولوسي ١: ١٥) اتخذ لنفسه صورة العبد وتواضع إلى درجة أن يصير جسده الذي اتخذه أن يموت ... وبسبب اتحادنا بجسده ... ولأننا أبناء الله صارت القوات السمائية تَعبُد (تخدم) الربَّ فينا .. هذا ما يميز الصلاح الذي وصلنا؛ لأننا صرنا نُمجَّد بسبب وجود الرب فينا، لأن هذه النعمة أُعطيت له لأجلنا؛ لأن الرب هو مانح النعمة، لأنه صار إنسانًا مثلنا .." (١: ٤٢-٤٣).

إذن، ماذا حقق التدبير؟

١- صار الصلبُ كرامةً لأن قيامتنا تمت به.

٢- صار الإله الحقيقي هو المستعلَن في جسد بشري؛ لأننا به عرفنا الآب، وبه وحده تمت هذه المعرفة.

٣- لم يكن الكلمة اللوغوس هو الذي نال رِفعةً ونال نعمةً، "بل نحن لأننا باتحادنا معه في ذات الجسد صرنا نحن هيكل الله، وتبعًا لذلك صرنا أبناء الله، وذلك حتى يُخدَم (يُعبد) الربُّ فينا .. الله بالحقيقة فيكم (١كو ١٤: ٢٥)، وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله (يوحنا ٢: ١٢)".

٤- وبالتبني سكن فينا روح يسوع، لأنه هو الذي أعطانا الروح (١ يو ٣: ٤).

٥- هذا هو ما يميِّز الصلاح الإلهي الذي أعطانا كل هذا.

وفي كلمات تبدو غريبة على مَن عاش تحت وطأة دونية الإنسان، كتب الرسولي:

"إننا نمجَّد بسبب وجود الرب العالي (الفائق) فينا؛ لأن هذه النعمة قد أُعطيت لنا من خلاله بعد أن نالها هو أيضًا، لأن الربَّ هو مانح النعمة، وصار إنسانًا مثلنا وأخلى ذاته وأخذ جسد تواضعنا .." (١: ٤٣).

٦- نحن الذين أخذنا الرِّفعَة؛ لأن الرب لم يكن محتاجًا، ولولا أن الرب صار إنسانًا لَمَا كان في قدرتنا أن نُفتدى من الخطية، وأن نقوم من بين الأموات، بل لَبقينا أمواتًا تحت الأرض وتعذَّر علينا أن نُمجَّد ونُرفع إلى السماء، بل لَرقدنا في الجحيم" (١: ٤٣).

٧- "أعطاه اسمًا" (فيلبي ٢: ٦-٨) هي رسالة الآب لنا، **فهو نصٌّ كنسيٌّ تمامًا** (١: ٤٣)، وهي رسالة التواضع والموت والقيامة من الآب لنا. وعندما مُجِّد الرب يسوع لأنه قام من الموت، وبه صارت لنا قيامة، فالكلمة صار جسدًا لكي يحيينا جميعًا بقوته بعد أن مات بالجسد" (١: ٤٤).

بشارةُ حياةٍ، لا مجردُ غفران خطايا:

في كلمات قاطعة منيعة كتب الرسولي: "بالموت أبطل الموت، والقيامة والتمجيد يدومان فينا لأن الرب فينا .. لأن كل ما يصنعه الابن إنما يصنعه ويعطيه الآب من خلاله". هذه الرفعة "من أجل تأليه الإنسان، أمَّا الكلمة فالأُلوهة خاصةٌ به والكمال خاصٌّ به" (١: ٤٥).

ولأننا سبق وقدَّمنا أكثر من دراسة عن تألُّه الإنسان، فنحيل إليها القارئ[١]، وبالتالي لا داعي للخوض في هذا الموضوع في هذه العجالة، ونكتفي

(١) يمكن للقارئ العزيز أن يراجع دراستنا بعنوان "الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة" جذور للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧. وأيضًا الدراسات المنشورة على

بالقول بأن تأليه الإنسان هو نعمة التبني الذي يُعطى من الله الآب، وسكنى الروح القدس فينا.

مسحة يسوع (مزمور ٤٥: ٧–٨)

كان مسح ملوك اسرائيل من الممارسات المعروفة في العهد القديم. ولم يُمسح الرب مثل هؤلاء الملوك؛ لأنه هو الله الذي "يملك ويحكم مملكة الآب"، بل هو نفسه واهب الروح القدس. أمَّا الآن ففي التدبير، ولأنه تأنَّس، فقد مُسح بالروح القدس.

ويضع الرسولي السبب في مسح يسوع:

"كإنسانٍ مُسح بالروح لكي يؤسِّس فينا نحن البشر سُكنى الروح وتعوُّد الروح على سُكناه فينا تمامًا مثلما وهبنا الرفعة بالقيامة" (١: ٤٦).

وعلى فم الرب يسوع يضع القديس أثناسيوس هذه الكلمات:

"كوني أنا كلمة الآب، فأنا ذاتي أعطي ذاتي الروح عندما صرت إنسانًا، وأنا الصائر إنسانًا أتقدس بالروح لكي يتقدس الجميع فيَّ" (١: ٤٦).

وقد سبق ونشرنا نص (١: ٤٧) في مقال "لماذا اعتمد يسوع؟"[١]، ولكن من جديد نضع ملخصًا لكلمات الرسولي:

موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، وعلى الأخص المقالين المنشورين بالتتابع في ٢٥ أغسطس ٢٠١١، ١٨ يوليه ٢٠١٧ بعنوان "تأله ناسوت الرب يسوع".

(١) مقال مأخوذ أصلًا من رسالتنا للدكتوراه بعنوان "الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، الطبعة الأولى ٢٠١٤، جذور للنشر، القاهرة، ص ١٤٣ وما بعدها. راجع أيضًا كتابنا "لأجلنا ولأجل خلاصنا، كلمات في أعياد الظهور الإلهي"، جذور للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٩، القاهرة، ص ١٣١ ما بعدها.

١- نزول الروح القدس على الرب في الأردن كان نزولًا علينا .. من أجل تقديسنا من جديد.

٢- صرنا شركاء في مسحة الرب يسوع، وهي شركة تعني أننا صرنا "هيكل الله وروح الله يسكن فينا" (١كو ٣: ١٦).

٣- حينما قَبِل الرب في معموديته الروح القدس كنّا نحن الذين قَبِلنا الروح ..

٤- ومن الرب يأخذ الروح القدس ويعطي لنا (يوحنا ١٦: ١٤). ولذلك وهب الربُّ الروحَ بعد قيامته (يوحنا ٢٠: ٢٢).

٥- بسبب ما حدث للربِّ في تأسيس التدبير، صارت أحداثُ التدبير، لا سيما التقديس، لنا (١: ٤٧).

لأجلنا:

"صار إنسانًا لكي يعيد تكوين المائتين والزمانيين ويجعلنا غير مائتين ولكي ندخل ملكوت السموات الأبدي" (١: ٤٩).

ظل هو الأقنوم غير المتغير، ولذلك نحن نُمسح في شخصه (أُقنومه) ولذلك لأجلنا قال الرب يسوع "المجد الذي أعطيتني قد أعطيتهم" (يوحنا ١٧: ٢٢).

"مسحة يسوع هي لأجلنا" (١: ٤٩):

أما سبب المسحة فهو حسب قول الرسولي:

"إن الآب خَلَقَنا به، وهكذا به يصير خلاص الجميع من خطاياهم، ولكي تكون كل الخليقة تحت حكمه. هذا هو سبب المسحة. وهذا هو سبب المسحة التي صارت له وأيضًا **سبب حضور اللوغوس المتجسد** وهو السبب الذي به تنبأ مرنم المزامير مسبِّحًا بأُلوهيته وملكوته الأبوي عندما هتف قائلًا "عرشك يا الله إلى دهر الدهور،

> وصولجان استقامة هو صولجان ملكك" (مز ٤٥: ٦)، ثم يعلن نزوله إلينا بقوله: "من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (مز ٤٥: ١٧)" (١: ٤٩).

وهنا يجب أن نذكِّر القارئ الذي يفهم تراتيل كنيسة القديس أثناسيوس أُم الشهداء أن هذا المقطع من مزمور ٤٥ يرتَّل ضمن تراتيل أسبوع الآلام عندما تحتفل الكنيسة بشركة صلب الرب لأنه جاء لكي يملك.

يسوع الرب هو واهب الروح القدس (١: ٥٠):

لم يترك القديس أثناسيوس الرسولي مناسبةً إلَّا وأكَّد فيها على أننا من يسوع، وبعد مسحته أخذنا الروح القدس من الابن المتجسد:

> "هوذا واهب الروح يقول الآن إنه يُخرج الشياطين بالروح .. طبيعة الإنسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوة الروح، من أجل ذلك كإنسان يقول: "إني أُخرج الشياطين بروح الله .. أما التلاميذ فقد برهن لهم ألوهيته وجلاله .. وأعطاهم الروح وقال: "اقبلوا الروح القدس" (يوحنا ٢٠: ٢٢) وأيضًا "أنا أرسله" (يوحنا ١٦: ٧) .. والرب مانح الروح لكيانه .. لأنه هو الذي وهب الروح، ولم يكتفِ بالقول: "روح الرب عليَّ لأنه مسحني" (أش ٦١: ١)، وذلك لأنه قد صار جسدًا (يو ١: ١٤)" (١: ٥٠).

وهكذا، كما كتب الرسولي:

> "إننا نحن الذين نحتاج إلى نعمة الروح لكي نتمجَّد .. ومتى كان في استطاعتنا أن نحصل على الروح إلَّا عندما صار اللوغوس إنسانًا (يو ١: ١٦).

وهذا يصبح واضحًا تمامًا من كلمات الرسولي أننا لم نحصل على الفداء ولا

على التمجيد الفائق، لو لم يتخذ صورة عبد ذاك الذي كان في صورة الله (فيلبي ٢: ٦-٧) (١: ٥٠).

لماذا تقدَّس ناسوت الرب يسوع؟

"لم تكن هناك طريقةٌ أخرى لكي نشترك في الروح ونتقدس لو لم يقبل اللوغوس ذاته واهب الروح بأنه هو ذاته مُسِح بالروح لأجلنا ولهذا السبب أخذنا الروح .. **لأن جسده الخاص به هو الذي تقدَّس أولًا**، وإذا قيل عنه كإنسان إن جسده قد اتخذ هذا الروح، فلأجل هذا، نحن نمتلك بسبب (تقديس جسد الرب) نعمة الروح، آخذين إياها "من ملئه" (يو ١: ١٦) (١: ٥٠).

الإنسان الأول والإنسان الأخير – آدم والرب يسوع:

"الإنسان الأول آدم (١كو ١٥: ٤٥) تغيَّر، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم (رو ٥: ١٢)، لذلك كان يجب أن يكون آدم الثاني غير متغير، حتى ولو استمرت الحية تمارس عملها .. أمَّا الرب فلأنه غير متغير وثابت، تصير الحيةُ عاجزةً في مساعيها ضد الجميع .. حينما صار الرب إنسانًا، حطَّم الحية، وانتقلت قوته العظيمة إلى جميع الناس" (١: ٥١).

هنا بالذات ينفصل لاهوت الإسكندرية عن لاهوت العصر الوسيط أيًا كان مكانه ومصدره. **لأن ثبات وعدم تغيُّر الرب هو أساس التعليم عن الخلاص وعن نوال الروح القدس.**

وفي بقية فقرة (١: ٥١) يُسهب الرسولي في تأكيد عدم تغيُّر الابن ومحبة الرب للحق.

صائرًا أعظم من الملائكة (عب ١: ٤):

المقارنة بين الرب يسوع والملائكة في الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين تُعدُّ من أقوى شهادات العهد الجديد على أن يسوع هو "يهوه" المخلِّص **وهو الفصل الذي يضرب جذور تعليم شهود يهوه في مقتل.**

في زمان الرسولي، كان إنكار تجسد الرب هو بذرة الشر التي زرعتها الغنوسية ثم المانوية، وكلاهما معًا قدَّما للأريوسية الاعتراضات على تجسد الكلمة، ومن ثم على أُلوهيته، تلك الاعتراضات التي شكَّلت الأساس الفاسد الذي ينكر "الحضور المتجسد" لله الكلمة. **و"الحضور المتجسد" تعبيرٌ متكرر عند القديس أثناسيوس، يحتاج إلى دراسة موسعة في الكتاب والشخص،** أي استعلان الله الكلمة في اللحم والدم، وليس في فصول كتاب.

المعنى الحقيقي لعبارة "صائرًا أعظم من الملائكة "(عب ١: ٤):

ما الذي يجب علينا إدراكه؟

في (١: ٥٤) كتب الرسولي ما يلي:

١- من الضروري فحص كل الأسفار الإلهية.

٢- أن نفهم بأمانةٍ العصرَ الذي كَتب عنه الرسول (بولس).

٣- الشخص والموضوع اللذين كَتب عنهما.

وقد ترك الهراطقة طريق الحق، لأنهم تركوا معرفة الشخص والموضوع والزمان الذي قيلت فيه الكلمات الرسولية (١: ٥٥).

أما ما قيل في (عب ١: ٤)، فهو عن زمان التدبير:

١- تطهير الخطايا.

٢- خدمة الابن أفضل من خدمة العبيد من الملائكة.

٣- ميَّز الرسول بين الخدمة القديمة (تحت الشريعة) والخدمة الجديدة (الإنجيل)، وهنا يسأل الرسولي:

"أية علاقة توجد بين الديار السماوية وبين المساكن التي على الأرض، وما هو وجه التشابه بين ما هو أبدي وروحي وبين الأمور الفانية الزمانية .." (١: ٥٥).

صائرًا:

يحدد الرسولي معنى صائرًا بأنها ليست بالمعنى المطلق، أي دوام التغيُّر، بل "صائرًا" تشرحها كلمة "أعظم" (١: ٥٥) لأنه حتى المولود بيولوجيًا يصير أعظم دون أن يفقد كيانه المولود. أما الابن فقد صار أعظم لأنه "أفضل من الملائكة" رغم حضوره المتجسد.

الحضور المتجسِّد:

١- أبطل الموت ولم نعد نموت في آدم.

٢- قدَّم الرب ذبيحةً أفضل لأنه مدبِّر المخلوقات (١: ٥٩).

٣- صار ضامنًا لعهد أفضل "أي الضمانة المعطاة منه لأجلنا" (١: ٦٠).

٤- دان الخطية في الجسد (رو ٨: ٣) نازعًا الخطية من الجسد الذي كان أسيرًا للخطية على الدوام حتى أنه لم يستوعب التدبير الإلهي.

٥- كانت الخليقة تدان حسب الشريعة. أما الآن، فقد أباد الابن الدينونة وصارت النعمة والحق بيسوع المسيح، فالنعمة أفضل من الشريعة، والحقيقة أعظم من الظل

(١: ٦٠).

٦- قدَّم التجسُّد "خدمةً أفضل" (١: ٦١)، وصارت خدمةً أعظم وأفضل من خدمة الملائكة (١: ٦٢) وصار اسمه هو "اسم الخلاص" الذي به يدعونا إلى أن نأتي إليه نحن التعابى وثقيلي الأحمال (متى ١١: ٨).

من الصعب على أي دارس أن يقدم خلاصةً للمقالة الأولى؛ لذا تركنا عبارات وفقرات كاملة للقارئ الباحث.

الأريوسية والأرثوذكسية
في المقالة الثانية ضد الأريوسيين(١)

بالنظر إلى اهتمام القديس أثناسيوس بشرح مركزية أُلوهية الرب والمخلص، ربنا يسوع المسيح، نجد أنه لم يكتفِ بالرد على ادعاءات الأريوسيين، بل واصل شرح الإيمان الرسولي كعادته بدقة ورصانة.

شرح عب ٣ :٢ "كونه أمينًا للذي أقامه":

وتظهر دقة ورصانة الرسولي في قوله: "الكلمات لا تحدد طبيعة الأشياء، بل الأشياء لها طبيعة تحدد معنى الكلمة، لأن الكلمات لا تسبق وجود أو جوهر الأشياء، بل الوجود وجوهر الأشياء يسبق الكلمات" (٢: ٣). **هذا مبدأٌ هام للإفراز والتمييز بين حقائق الوجود**: الكلمات أو الألفاظ تُقال عما هو كائنٌ فعلًا، وطبيعة ما هو كائن هي التي تحدد معنى اللفظ.

كان العبث بالكلمات التي نُزِعت من السياق العام من أسفار العهدين

(١) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٥ ديسمبر ٢٠١٨.

القديم والجديد، هو شغل الأريوسية الشاغل الذي يتم به خداع السُّذَّج. الكلام دائمًا سهل، ولكن هل يحتوي الكلام على حقائق، أم ينطوي على خداع؟

لذلك، قدَّم الرسولي عدة أمثلة عن سارة التي كانت تدعو ابراهيم سيدًا، رغم أنها لم تكن عبدةً (١بطرس ٣: ٦)، فالاسم الذي يُطلق من قبيل الإكرام، لا يحدد طبيعة المتكلم.

فَصَلَت الأريوسية بين الكلمات وحقائق ما هو كائن حتى يمكنها هدم أُلوهية الرب باستخدام ما قِيل عن تجسده وحضوره المتجسِّد (راجع ٢: ١٠–٢٣ – ٢: ٥٥ – ٢: ٦٧) على أنه عن أُلوهيته. ولما كانت بنوة الابن للآب هي طبيعة الابن، فلا يجوز تعدي هذه الحقيقة بالعودة إلى تدبير تجسد الابن وإنكار أزليته، بسبب أنه "صار جسدًا".

ما معنى أنه صار أمينًا؟

كلمة "أمين" حسب شرح الرسولي لها معنيان في الأسفار: المعنى الأول أنه "مؤمن" والثاني أنه "أمين". المعنى الأول يُناسِب البشر، والثاني يُناسِب الله. فإبراهيم "مؤمنٌ" منذ أن آمن بالله، أما الله، فهو "أمينٌ" حسبما رنَّم داود: "أمينٌ هو الرب في أقواله" (مز ١٤٤: ٣ س) (٢: ٦).

المسيح رسولٌ ورئيسُ كهنة:

هنا يسال أثناسيوس الرسولي: "متى صار رسولًا؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا إلَّا عندما بذل ذاته لأجلنا، وعندما أقام الجسد من بين الأموات ..؟" (٢: ٧).

فكل الذين يتقدَّمون إلى الآب بالإيمان "يقدمهم يسوع إلى الآب، بعد أن يحررهم مُكفِّرًا عنهم جميعًا أمام الله (عب ٢: ٧)" (٢: ٧). صار الرب رئيس كهنة "عندما أراد الرب أن تقدَّم الفدية لأجل الجميع، وأن تعطى النعمةَ للكل .. فأخذ جسدًا من الأرض، من مريم أُمًا حسب الجسد، كما من أرضٍ بكر حتى يكون له كرئيس كهنة شيءٌ يقدمه، فهو يقدِّم نفسه للآب ويطهرنا جميعًا من الخطايا بدم نفسه، ويقيمنا من الأموات" (٢: ٧).

وهنا أرجو أن يكون القارئ على وعي بتعدد أعمال الرب يسوع في تحرير الإنسان:

١- قدَّم نفسه للآب.

٢- طهَّرنا بدمه.

٣- أقامنا من الأموات.

فتقديم الكاهن يسوع نفسه للآب، هو واحدٌ من الجوانب المتعددة والمتنوعة لعمل الرب الواحد ربنا يسوع المسيح. فقد شابهنا وصار كواحدٍ منّا (عب ٢: ١٤ - ١٨).

ويُكمل الرسولي الشرح في الفقرة التاسعة:

١- لبس جسدنا نحن .. فصار له أخوة.

٢- بذل ذاته بذاته، وليس بواسطة آخر نال سلطانًا عليه.

٣- لذلك دُعيَ "رئيس كهنة" ودُعيَ رحيمًا وأمينًا.

٤- دُعيَ "رحيمًا" لأنه رحمنا، إذ بذل ذاته عنا.

٥- دُعيَ أمينًا، ليس لأنه يحتاج إلى الإيمان .. بل لأنه قدَّم ذبيحةً أمينةً أبديةً لا تزول.

هكذا، فإن بذل للابن لذاته، جعل الذبيحة "**تُقدَّم كل يوم**" (٢: ٩)، وهذه إشارة واضحة للقداس اليومي في زمن الرسول، **وظلَّت ذبيحةُ الرب "باقيةً على الدوام**".

من هذه الكلمات، وتلك التي جاءت بعد ذلك مباشرةً، ندرك أن الرب له "كهنوتٌ ثابتٌ لا يزول" حسب (عب ٧: ٢٤)، وهو "أمينًا حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه" (٢: ٩).

الكهنوت الأبدي للرب يسوع:

الربُّ كاهنٌ إلى الأبد "غير متغير .. بل كما كتب الرسول: "أمينٌ هو الذي يدعوكم .." (تسا ٥: ٢٤). التجسُّد كان إقامة الرب كاهنًا، إذ صار حضوره المتجسد (٢: ١٠)، هو ممارسة لذلك الكهنوت الذي جعله "الأخ" لنا والذي بسبب تجسده تقدَّس الجسد" (٢: ١٠).

كيف وُصِفَ التجسُّد بأنه خَلْقٌ؟

احتج الأريوسيون بكلمات (أمثال ٨: ٢٢) "الرب خلقني أول طرقه لأجل أعماله (لأجل الخليقة)". ولم يصرف الرسولي وقتًا لكي يجادل حول استخدام الفعل "خلق" والفعل الآخر "قنى" في نص: "الرب قناني"، فالاقتناء هو عمل الحكمة؛ لأن نفس السفر (أمثال ١: ١) يتكلم عن "الحكمة بَنَت لنفسها بيتًا"، وما هو بيت الحكمة؟ يشرح الرسولي: "**بيت الحكمة** هو جسدنا الذي اتخذه الكلمة عندما صار إنسانًا" (٢: ٤٤). ولفظ "خَلَق" أو "قَنى" لفظٌ خاصٌّ بتجسد الكلمة.

الخلق لا يمس جوهر الكلمة، بل يُعلِن تجسُّدَه (٢: ٤٦). "وعندما يقول

الرسول بولس إننا نُخلق من جديد في الرب، فهو لا يقصد كينونة شخصين معًا، ولم يكن يوحي بأن نلبس إنسانًا آخر، ولكنه كان يقصد الحياة الجديدة للإنسان حسب الله" (٢: ٤٦).

و"العمل الإلهي هو لأجل البشر" (٢: ٤٧). ولذلك، فإن عبارة "هيأت لي جسدًا" (عب ١٠: ٥)، وعبارة "الكلمة صار جسدًا" لا تعني تحول الكلمة إلى جسد، بل "لَبَسَ الكلمةُ جسدًا وصار إنسانًا" (٢: ٤٧).

وعلى نفس القياس صار المسيح لعنةً، ما يعني أنه "احتمل اللعنة التي كانت علينا وافتدانا من اللعنة". وعبارة "حَمَلَ خطايانا في جسده على الصليب" (١بط ٢: ٢٤)، إنما تعني نَقَلَها، وبالتالي لم يعد لها وجود في العلاقة بين الله والإنسانية. هكذا "الله خلقه لأجلنا وهيَّأ له جسدًا مخلوقًا لأجلنا .. لكي نستطيع أن نُجدَّد ونؤلَّه" (٢: ٤٧). ويقدِّم الرسولي تشبيهًا بليغًا، وهو أن أي مدينة كلها مصنوعة، ولا يوجد جزءٌ في المدينة صانعًا وجزءٌ آخر مصنوعًا، بل المدينة كلها مصنوعة (مخلوقة) (٢: ٤٧). وعلى نفس القياس، خُلق الرب لكي يكون أول المخلوقات الجديدة، لأن التجسد هو بداية الخليقة الجديدة (٢: ٤٨).

نحن والرب يسوع:

> "نحن بالطبيعة عبيدٌ. نرتفع فوق عبودية الطبيعة بقبولنا روح الابن، لكي ندعو الآب أبًا بسبب النعمة. أما الرب، فهو ربٌّ لنا حسب الطبيعة، وكما أننا حينما ندعو الآب ربًا والابن ربًا، لا ننكر عبوديتنا لهما لأنها عبودية حسب الطبيعة" (٢: ٥٠).

ما هو حسب النعمة، لن يتحول لكي يصبح مثل الطبيعة التي وَهَبَت لنا التبني والتألُّه.

وعلى فم الرب يضع الرسولي هذه الكلمات كَرَدٍّ على سبب تجسد الابن ودعوته "مخلوقًا": "إذا سأل أحدٌ من الناس، لماذا تجسَّدتَ؟ فإنه سوف يجيب قائلًا: جبلني أبي هكذا، وأعدَّني لأجل أعماله" (٢: ٥٢)، لكي يجمع الخليقة ويستردها الآب، ولذلك لبس الرب نفس رداء الجسد، وصار هو الرب ذاته الذي يتكفل بتجديد الخليقة لأنه خُلِقَ، أي تجسَّد لأجلنا، وجميع الأشياء تُخلق (بالمسيح) من جديد (٢: ٥٣). فقد جاء المخلص إلى العالم .. لكي ينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره المتجسد (٢: ٥٤) جاء الموت بإنسان وبإنسانٍ صارت قيامة الأموات (رو ١كو ١٥: ٢١ – ٢: ٤).

ماذا حقَّقَ المخلص؟ (٢: ٥٥).

١- لم يأتِ لأجل ذاته، بل لأجل خلاصنا.

٢- لكي يُبطل الموت.

٣- لكي يُدين الخطية.

٤- لكي يُقيم الجميع من الأموات.

> "فإن كان قد أتى، ليس لأجل ذاته، بل لأجلنا، فهو إذن لم يُخلق لأجل ذاته، بل لأجلنا .. لأن الذين يخلقهم يتَّحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (٢: ٥٥).

وهكذا يجب أن نفهم أن عبارة قانون الإيمان "مولود غير مخلوق" هي عبارة خاصة بلاهوت الله الكلمة.

غاية الخلق الجديد:

"إن لم نُخلق به، فلن يكون هو في داخلنا ولنا" (٢: ٥١)؛ لأن كينونة الرب فينا هي

استنارة العقل "ولكي نحصل على فكرٍ حُرٍّ". لقد كان الانسان عاجزًا عن أن ينال التبني بحسب النعمة، ونوال قوة من الآب لكي يصير ابن الآب؛ لأنه مخلوق، ولم تكن هناك وسيلةٌ أخرى إلَّا أن يصير الكلمةُ جسدًا، لكي يجعل الإنسانَ قادرًا على تقبُّل الأُلوهة (٢: ٥٩). "نحن لسنا أبناء بالطبيعة، أما الذي جاء وسطنا، فهو ابنٌ بالطبيعة، وأيضًا الآب ليس أبانا بالطبيعة، لأنه آبُ الكلمة الكائن فينا، والذي به نصرخ: "أبًّا أيها الآب".

الطبيعة والنعمة:

لا أريد أن أخرج خارج دائرة تعليم الرسولي، ولكن من الواضح أن ما هو كائنٌ بحسب الطبيعة، ليس هو ما هو كائن بحسب النعمة.

* حسب الطبيعة هي الأُلوهة الحرة من كل ضرورة.

* حسب النعمة هي الإنسانية الجديدة التي نالت حياةً جديدةً ليس مصدرها الإنسان؛ بل الرب الكائن فينا.

الطبيعة التي حررها الابن بدمه:

من الكلمات القوية والواضحة التي تهدم كل ما قيل في العصر الوسيط عن الكفارة والفداء، ما ورد في الفقرتين ٦١ و٦٥ في المقالة الثانية ضد الأريوسيين، وفي هاتين الفقرتين يصبح من المستحيل مصالحة الرسولي مع العصر الوسيط برمته.

فماذا كتب الرسولي عن موت الرب يسوع له المجد؟

١- حينما لَبَسَ ما هو مخلوق، صار مشابهًا لنا نحن حسب الجسد.

٢- ومن الصواب أن يُدعى أيضًا أخانا وبِكرنا.

٣- كل البشر هلكوا بسبب تعدي آدم (٢: ٦١).

بعد هذه المقدمة يكتب الرسولي:

"فإن جسده كان هو أول ما تم خلاصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته".

هكذا صار الربُّ البكرَ وبداية الخلقة الجديدة، إذ خلَّص جسده من الموت وحرره من الفساد، ولذلك، وحسب كلمات الرسولي نفسه: "وهكذا إذ قد صرنا مُتَّحدين بجسده، صار لنا خلاصٌ على مثال جسده". فما حدث لناسوت الرب، سوف يتم فينا نحن البشر. وباقي كلمات الرسولي واضحة جدًا: "وبهذا الجسد (جسد الرب) صار الربُّ هو قائدُنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه نفسه، لأنه يقول: "أنا هو الطريق" (يوحنا ١٤: ٦)، و"أنا هو الباب" (يوحنا ١٠: ٧). وخلف هذه الأسماء الخاصة بالرب، كتب الرسولي: "الجميع يجب أن يدخلوا بي"، ولذلك السبب يُدعى البِكر من بين الأموات، لا لأنه أول مَن مات مِنّا، لأننا مُتنا قبل أن يموت، بل لأنه أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وبذلك أبطل الموت، وصار هو الأول، أولُ من قام كإنسان، إذ قد أقام جسده لأجلنا، ولأن هذا الجسد (جسد الرب) قد أُقيم، هكذا نحن أيضًا **نقوم من الأموات منه وبه**" (٢: ٦١).

لم نعثر على كلمات مثل هذه في كتابات العصر الوسيط، ولا ما بعده.

العداء الشديد للقديس أثناسيوس:

أكتب هذه السطور بذات الحزن، بل بذات الوجع الذي باغتني في عام ٧٠ - ١٩٧١ عندما مُنعت من تدريس كتاب "تجسد الكلمة" في الكلية الإكليريكية. لم أفهم في بداية الأمر سبب المنع، ولكن ظهرت حقائق غريبة:

١- دفع ثمن خطايا البشر بموت الرب على الصليب.

٢- عقوبة الموت وقعت على الرب نفسه.

وحاولت الحوار، ولكن الحوار تعذَّر. لم تكن المقالات ضد الأريوسيين قد نُشرت كاملة باللغة العربية، ولم يكن طلبة القسم النهاري يعرفون الإنجليزية أو اليونانية بالقدر الذي يمكِّنهم من العودة إلى الأصل .. وتمر سنوات والعداء ينمو ولا زال كامنًا في فكر وكراهية المدافعين عن "البديل العقابي"، وكأن بابا الإسكندرية الرسولي والعظيم لا وجود له .. وكم أصابني من مضايقات وشتائم بسبب الرسولي.

أثناسيوس الرسولي بعيدٌ عن اللاهوت الغربي والقبطي المعاصر:

في الفقرة ٦٨ تظهر هذه الحقيقة التي لا يُراد لها الظهور، فقد كتب الرسولي هذه الكلمات حسب تسلسل فكره:

١- المسيحُ يُعتبر بدايةً بسبب القيامة من الأموات.

٢- الوجود الجسدي خاصٌّ بالكلمات: "الرب خلقني أول طرقه".

والخلاصة:

١- هكذا خُلِق المخلص حسب الجسد، وصار أول الذين خُلقوا من جديد.

٢- واتخذ باكورتنا من هذا الجسد البشري الذي لَبِسَه (٢: ٦٦).

الاتحاد بالله:

لقد قدَّم المسيحُ الربُّ ذاته لأجلنا. الدم هو حياة الكائن البشري (لاويين ١٧: ١١)، وهنا بالذات نضع ما كتب الرسولي، وكأنه كان يدرك العبث الآتي:

١- لو أن الله قال كلمة واحدة -لأنه قادر على ذلك- وأبطل اللعنة، لظهرت قوة

الله الذي أعطى الأمر.

٢- ولكن الإنسان كان سيظل كما كان آدم قبل العصيان (قابلًا للموت)؛ لأن النعمة ستكون من خارج الكيان الإنساني، دون أن تكون في الجسد، ودون أن تتحد بالجسد.

٣- بل في أحسن الأحوال، كانت حالته أسوأ مما كان في الجنة؛ لأنه تعلَّم العصيان.

٤- وكان البشر المستعبَدين للخطية تحت الدينونة.

ثم ينتقل الرسولي إلى الخلاصة.

١- لو كان الابن مخلوقًا، لظل الإنسان مائتًا كما كان قبلًا حيث أنه لم يتَّحد بالله.

٢- إذ لا يستطيع مخلوقٌ أن يوحِّد المخلوقات مع الله (٢: ٦٩).

لكن

٣- أرسل الله ابنه، وصار ابنَ الإنسان؛ لأنه اتخذ الجسد المخلوق.

٤- وحيث أن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفًا عن الجميع، فقد قدَّم جسده الخاص للموت لأجل الجميع.

٥- إذن، الجميع قد ماتوا في المسيح عندما تم حكمُ الموت. وهكذا صار الجميعُ أحرارًا من الخطية واللعنة الناتجة عن الخطية، وبقى الجميعُ دائمًا قائمين من الموت ولابسين عدم الفساد.

٦- وصرنا مُتَّحدين مع الكلمة، ولأننا مُتَّحدون مع الله، فلن نمكث طويلًا على الأرض (راجع يوحنا ١٤: ٢٣).

تألُّه ناسوت الرب يسوع:

"لَبِسَ الجسد المخلوق، لكن بعد أن يجدده كخالق، فإنه يؤلِّهه في

> نفسه، وهكذا يُدخلنا جميعًا إلى ملكوت السموات على مثال صورته؛ لأن الإنسان لن يتألَّه لو أنه اتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهًا حقيقيًا" (٢: ٧٠).

إن الحرب التي شُنَّت عن جهلٍ وعنادٍ ضد التألُّه، كانت ولا تزال عالقةً في أذهان الذين يحاربون لاهوت الإسكندرية لأن جوهر التألُّه هو الاتحاد بالله حسب كلمات الرسولي: "لم يكن للإنسان أن يؤلَّه لو لم الكلمة الذي صار جسدًا هو ابنٌ من طبيعة الآب ومن ذات الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتَّحد ما هو بشري بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة الأُلوهة، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكَّدًا" (٢: ٧٠).

الخلاص ليس مجرد أقوال، ولا هو تصوُّر عقلي:

إذا رجعنا إلى فقرة ٦٥ وجدنا كلمات الرسولي تصدم بقوة كل لاهوت العصر الوسيط، ونكتشف أن دم المسيح هو الذي فدى الباكورة، أي يسوع المسيح ربنا نفسه. فحسب كلمات الرسولي: "كلمة الله المحب للبشر لَبِسَ الجسد المخلوق بإرادة الآب لكي يُحيي بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه" (٢: ٦٥).

الحياة الجديدة لم تكن بكلمة أو بإرادة فقط، بل كانت هي العمل العظيم الذي بدأ في المسيح يسوع ربنا. وعن هذا كتب الرسولي: "إن كان كل شيء قد صار خليقةً جديدةً، كان من الضروري أن يكون هناك شخصٌ هو أول هذه الخليقة" (٢: ٦٥).

فقد فدى المسيحُ الإنسانيةَ بدمه، والمسيح هو "بدء الخليقة" (٢: ٦٥).

كان الإنسان "ينقصه الخلود، وكان هذا هو الدَّين الذي علينا لأننا تركنا صورة الله "فالإنسان كان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس" (٢: ٦٦). ونرجو من القراء دراسة بقية (الفقرة ٦٦).

الأريوسية والأرثوذكسية في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين[١]

تُعد المقالة الثالثة عُصارة ما كُتب في المقالتين الأولى والثانية، بالإضافة إلى ذات الوضوح ودقة التعبير والتمسك الشديد بنفس ألفاظ أو كلمات الأسفار.

العلاقة الخاصة بين الآب والابن:

قال الرب: "أنا في الآب والآب فيَّ" (يوحنا ١٤: ١٠)، فكيف يمكن لأي عاقلٍ أن يبني هرطقةً على هذه العبارة؟ ولذلك السبب، أي انعدام الإدراك، يصف الرسولي الأريوسيين بأنهم "مجانين"، وأنهم تحت تأثير "سُم الحية" الشيطان "لا يفهمون ما يقرأونه" (٣: ١).

ويسأل الرسولي ما هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمات؟

١- يواجه الظن والخيال الإنساني؛ لأن الخيال البشري يمكنه أن يتصوَّر كما يقول الرسولي "إن الواحد، أي الآب يُفرغ ذاته في الآخر، أي الابن، ليملأ الواحد منهما

(١) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ يناير ٢٠١٩.

الآخر كما يحدث في الأواني الفارغة. حتى أن الابن يملأ فراغ الآب والآب فراغ الابن، وكأن كلًا منهما ليس تامًا ولا كاملًا في حد ذاته، لأن هذه هي خاصية الأجساد (٣: ١). ولذلك، فإن ملء اللاهوت يمنع هذا التصوُّر؛ لأن الملء خاصٌّ بالبشر عندما يحل الله فيهم ويكمِّل "غاية وجودهم" (٣: ١). أما الابنُ فهو "قوة الله وحكمة الله" (٣: ١). "المخلوقات تشترك في الابن، وتتقدس في الروح، أمَّا الابن نفسه، فهو ليس ابنًا بالشركة، بل هو الابن لأنه مولودٌ من ذات الآب" (٣: ١).

بهذه الكلمات القاطعة هَدَمَ الرسولي الظنَّ والخيال. ولذلك يجب علينا هنا أن نميِّز بين شركتنا في الآب والابن والروح، فهي ليست شركة تعود إلى أننا من ذات الطبيعة، أي لنا ذات الحياة، بل لنا الحياة المخلوقة، أما عن الابن، فنحن به نحيا ونتحرك ونوجَد، لأن الابن من ينبوع الحياة، فهو الحياة الذي به نحيا وتبقى كلُّ الأشياء كائنةٌ، لأن الحياة تأتي من مصدر آخر، لكن الابن هو الذي يعطي الحياة لكل المخلوقات" (٣: ١).

٢- الحلول المتبادَل هو من المحبة الواحدة للثالوث، هو حلول الآب في الابن، والابن في الآب حسب قول الرب نفسه: "الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أعملها"، وحسب كلمات الرسولي: "كيان الابن هو من جوهر الآب ذاته" (٣: ٣). والمثال الذي يقدِّمه الرسولي: "مثل شعاع من النور أو النهر من الينبوع" (٣: ٣)، هو مثالٌ ضروريٌ لنا لأنه خاصٌّ باستعلان الثالوث لنا، لأن "وحدة الألوهة المستعلَنة في المسيح تجعل "لاهوت الابن هو لاهوت الآب .. وما يقال عن الآب يقال هو نفسه عن الابن" (٣: ٤).

٣- ويقدم الرسولي التسليم الرسولي عن الابن له المجد:

"الابن ضابط الكل

- ربٌّ واحد

- النور

- الغافر الخطايا

- وحسب كلمات الرب نفسه: "كل ما للآب هو لي" (يو ١٩: ١٥) وأيضًا "كل ما لي فهو لك" (٣: ٤). بهذا نعرف الله المستعلَن في حياة الابن المتجسد. وحسب كلمات الرب نفسه، وكما كتب الرسولي: "أنا في الآب والآب فيَّ" (يو ١٠: ٣).

ملء أُلوهية الابن وفداء البشر:

"الابن إلهٌ كامل .. لم يحسب المساواة لله غنيمة" (٣: ٦). الابن ليس جزءًا، بل "ملء أُلوهية الآب"، وهذا يعني "أنا في الآب، لذلك كان المسيح مصالحًا العالم لنفسه" (٢كو ٥: ١٩)، ولأن الابن من جوهر الآب، تمَّت به مصالحة الخليقة مع الله، وهكذا، فالأعمال التي عملها الابن هي أعمال الآب، لأن الابن هو صورة لاهوت الآب .. ولذا فمن ينظر إلى الابن يرى الآب" (٣: ١٦).

هذا يُسقط تمامًا تعليم العصر الوسيط عن "البديل المعاقَب" من الآب.

أمَّا الجانب الاختباري، فهو كما كتب الرسولي: "حينما ندعو الله أبًا، فنحن نقصد في ذات الوقت "وجود الابن في الآب. .. ولذلك، فالسجود والإكرام اللذان يُقدَّمان إلى الآب في الابن وبه (أي بالابن) فلأنهما واحد" (٣: ٦).

الإله الحقيقي وإله الأريوسية:

قال الرب يسوع: "أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣). عندما أخذت الأريوسية هذه الكلمات التي قصد بها الرب "استبعاد الآلهة الكاذبة" (٣: ٧)، كانت بشارة الإنجيل هي أن نعرف الإله الحقيقي لا الآلهة التي لا كيان لها التي اخترعها البشر (٣: ٨).

قال الابن إنه الحق (يوحنا ١٤: ٦)، فهو ليس مخلوقًا، بل هو خالق، وليس مثل آلهة الأساطير الوثنية، فهو الإله الحق. أما إله الأريوسية، فهو موجودٌ في عقل الأريوسيين فقط.

المسيح الرب، ونحن الذين نؤمن به:

نحن صورة الله لأن المسيح فينا: "رغم أننا خُلقنا حسب الصورة ودُعينا صورة الله ومجده، فذلك ليس من ذواتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا، وهو كلمته، الذي صار جسدًا لأجلنا .. لكي ننال نحن هذه التسمية" (٣: ١٠). "ولكن هذا لا يعني أننا مثل الابن الوحيد؛ لأننا بالابن "ننال نعمةً واحدةً من الآب في الابن" (٣: ١١). لا توجد نعمةٌ مزدوجة تُعطى من مصدرين .. بل ما يُعطى بالابن هو ضمان النعمة" (٣: ١٢)، "بل لا تستطيع المخلوقات أن تشترك مع الله في إعطاء النعمة" (٣: ١٢)؛ "لأن للنعمة مصدرًا واحدًا وهو الثالوث"، "ورغم أن الابن هو الذي يَهب النعمة، فالآب هو الذي يعطيها بالابن في الابن" (٣: ١٣).

الأريوسيون يكررون سقوط الشيطان:

وصل جنون الأريوسيين إلى القول بأنهم واحدٌ مع الآب (٣: ١٧)، ولكن هنا يُذكِّرُنا الرسولي بأن هذه "وقاحة وجنون شيطاني" (٣: ١٧)، وأن الأريوسيين يقولون مثل الشيطان: "نصعد إلى السماء ونصير مثل العلي، لأن ما يُعطى للإنسان بالنعمة، يخطئ الأريوسيون عندما يجعلونه مساويًا لأُلوهية المعطي" (٣: ١٧).

ولذلك، نحن أبناء الله، ولكن هذا لا يجعلنا مساوين للابن الحقيقي الذي هو من طبيعة الآب (٣: ١٧). ومَن يخدع نفسه ويظن -كما تصوَّر الأريوسيون- أنهم سيصيرون مثل الابن في الآب والآب في الابن، هؤلاء لا يتعلمون من سقوط الشيطان أبيهم الحقيقي الذي سقط بسبب هذا الخيال" (٣: ١٧).

الرسولي والاتهامات المعاصرة:

حشدت الكراهية والبغضة خيالات لا وجود لها إلَّا في عقل كاتبها وناشرها. لأن أحدًا لم يكتب ولم يقل إننا نصير مثل الله، لنا وجودٌ في كل مكان (قدرات إلهية مثل الله)، إقامة الموتى ... الخ. هذه فزاعة السنوات الماضية التي بدأت تنحسر بعد أن ظهرت أكاذيب المدعين "لحماة الكراهية".

تُعدُّ الفقرات ١٦ – ٢٥ من المقالة الثالثة، بمثابة رد الرسولي على الأريوسيين، واتهامهم بأنهم يشاركون الوثنيين في عبادة مخلوق (٣: ١٦)، ويبدو الاتهام غريبًا، ولكن تأمل هذه الفقرة وما بعدها تجدها تكشف خداع الأريوسية، وهي في عبارات تشبه ما يُكتب في صحافة اليوم: "نحن لا نقول باثنين غير مخلوقين" (٣: ١٦)، وكأن الأريوسية كما تبدو هي دعوة لوحدانية الله. والخداع كما كتب الرسولي أن الإله الواحد هو "واحد وكلمته .. لأن الكلمة هو الله وهو وحده

صورة الآب" (٣: ١٦).

الأريوسية واستعلان الثالوث:

عادوا إلى هدم الإيمان في عبارة تبدو بريئة: "كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو في الابن، والابن هو في الآب، هكذا أيضًا نكون نحن واحدًا فيه" (٣: ١٧)، ويبدأ رد الرسولي بكلمات الرب في (يوحنا ١٧: ١١): "ليكونوا واحدًا كما نحن .. ليكون الجميع واحدًا فينا .. كما أننا نحن واحد .." (يوحنا ١٧: ٢٠-٢٢)، هل هذه الكلمات تعني -كما سأل أثناسيوس نفسه- أننا في ذات جوهر الآب مثل الابن (٣: ١٧)؟ وهل "المماثلة تستدعي المساواة" (٣: ١٨)؟ لكن الكلمة "وحيدٌ" وتقديم المثال للوحدة، لا يعني الانتماء إلى ذات الطبيعة الإلهية. ولم يقل المخلِّص أننا نصير مثل الآب (٣: ١٩)، فالخلق من العدم يمنع علينا أن نكون من ذات جوهر الآب؛ لأن النعمة هي حسب "دعوة الله" (٣: ١٩)، لا لكي نصير مساوين، بل لكي "توزَّع على الآخرين الخيرات الموهوبة لنا من الله بالنعمة" (٣: ١٩). فالتشبُّه بالله لا يلغي الفوارق بين الخالق والمخلوق:

١- "نحن به (المسيح) نصير أبناء بالتبني (بالنعمة مشتركين في روحه) (٣: ١٩) ولذلك نحن مثل الله في حياة الفضيلة.

٢- لن نصير "كما هو"، أي المسيح، بل "مُتخذين إياه لنا مثالًا لنا .. نصير واحدًا في الوفاق ووحدة الروح" (٣: ٢٠) مثل اختبار الكنيسة في (أعمال ٤: ٤) وهو القلب الواحد الذي نطلبه في القداس الغريغوري: "القلب الواحد الذي للمحبة فليتأصل فينا"، وهي عبارة قاطعة: "نحن لن نصير واحدًا مثلما الآب هو في الابن" (٣: ٢٠). التماثل هو وحدة الطبيعة .. لأن كل البشر قد جاءوا من واحد ..

مثال الوحدة الطبيعية للابن مع الآب" (٣: ٢٠) هي "وحدة لا انفصال فيها" (٣: ٢٠) "لكن لن نصير مساوين". وهكذا يمكننا القول بأن الثالوث القدوس استُعلِن ثلاثةً في واحد لكي يجتمع البشر حول المثال الحقيقي للوحدة (٣: ٢١).

الثالوث مثالٌ لنا:

كتب الرسولي: "إننا نصير واحدًا بعضنا مع بعض بالنية (الإرادة) الصالحة واضعين أمامنا مثال الوحدة الطبيعية للابن مع الآب. لأنه كما علَّمنا الوداعة بنفسه قائلًا: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (متى ١١: ٢٩)، لا لكي نصير مساوين له، لأن هذا غير ممكن.." (٣: ٢٠).

هل هذا مجرد تشبُّه بالمثال؟

لقد حارب البعض اتحادنا بالثالوث على أنه مجرد تشبُّه أخلاقيّ يقوم على العمل الإرادي للإنسان. لكن الرسولي يشرح التعليم الرسولي مؤكِّدًا في الفقرة (٢١): "نحن كائنين في الابن وبواسطته كائنين في الآب. وبكلامه هذا (الرب يسوع) قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحدًا فيما بينهم بتمثُّلِهم بوحدتنا، كما أننا واحدٌ بالطبيعة والحق" (٣: ١١). المثال الذي يتم اختباره في الحياة الأرثوذكسية، صار حقيقةً لأن الرسولي يشرح بدقة: "الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه لَبِسَ جسدنا. وبقوله "أنت أيها الآب فيَّ"، فهو يعني لأني أنا كلمتك وحيث أنك أنت فيَّ بسبب كوني كلمتك، أنا فيهم بسبب الجسد، ومنك (الآب) يتم خلاص البشر فيَّ لذلك أسأل أن يصيروا هم أيضًا واحدًا بسبب الجسد الذي فيَّ وبحسب كماله (الجسد) لكي يصيروا هم أيضًا كاملين (بالقيامة والخلود)، إذ يكون لهم وحدة مع

الجسد، لأنهم قد صاروا واحدًا في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين فيَّ، يصيرون جميعًا جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا (أفسس ٤: ٤) لكي ينمو الجميع إلى إنسان كامل (أفسس ٤: ١٣) لأننا جميعًا باشتراكنا نصير جسدًا واحدًا، لأننا نشترك في الرب الواحد في أنفسنا .." (٣: ٢٢).

الإنسان الكامل هو الرب عديم الموت الحي إلى الأبد، ونحن لا نتحول بالإرادة والتشبُّه، بل بالشركة وحلول الابن فينا، ونحن واحدٌ لا يفصلنا عن الآب مسافة، فلا مسافة ولا مكان يفصل الإنسان عن الله، ولكن اختلاف الطبيعة المخلوقة، يمنع تحوُّل ما خُلق من العدم إلى أن يكون كائنًا بقوة الطبيعة.

الكينونة الجديدة بالنعمة:

كتب الرسولي: "كل المخلوقات هي بعيدة عن الله؛ لأن كما أن الآب في الابن والابن في الآب، فإن استعمال أداة التشبيه: "كما"، لا يعني التطابق ولا المساواة، ولكن يعني التشبُّه بمثال نراه بقصدٍ واضح (وهو الوحدة)" (٣: ٢٢).

وقدَّم الرسولي تشبيهًا لشرح أداة التشبيه: "كما"، وهو ما ذكره الرب نفسه عن يونان النبي: "لأنه "كما" كان يونان في بطن الحوت .. (متى ٢٢: ٤)"، والفرق بين يونان والرب يسوع واضح، فلم يكن الحوت ولا الموت، هو الجحيم الذي نزل إليه الرب؛ لأن نزول الرب إلى الجحيم هو حقيقة موازية، لأننا والابن الوحيد لنا وحدة متوازية، لأن اختلاف الطبيعة يظل قائمًا، وما يُعطى في النعمة لا يتحول إلى طبيعة، أي صفة طبيعية" (٣: ٢٣).

التحوُّل بالنعمة لا يلغي الطبيعة الإنسانية:

جاء الرب يسوع لكي يكمِّل خلقنا بالخلود والحياة الأبدية، أي بالقيامة من الأموات. وعلى لسان الرب يسوع يكتب الرسولي: "لو لم أكن قد جئتُ ولبستُ جسدهم، لما استطاع أحدٌ منهم أن يصير كاملًا، بل لظل الجميع في الفساد" (٣: ٢٣)، فكيف تتم هذه الوحدة؟ "كما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد، فأعطِ روحك لهم، لكي يصيروا هم أيضًا بالروح واحدًا .. لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كَلِمَتُك قد أخذتُ جسدهم وصرتُ إنسانًا، وقد أكملتُ العمل الذي أعطيتني إياه أيها الآب إلى النهاية.. لأن البشر قد افتُدُوا من الخطية ولا يبقون أمواتًا بعد، بل إذ يتألَّهون، فإنهم بنظرهم إليَّ يصير لهم رباط المحبة بينهم" (٣: ٢٣).

وهنا نسمع صوت التسبحة السنوية:

"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له

أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس".

لأن الرسولي يؤكد لنا "نحن في الله والله فينا" (٣: ٢٤).

ويعود أثناسيوس دائمًا إلى ذكر اختلاف الطبيعة مؤكدًا أن جنون الأريوسيين يجعلهم مثل الشيطان الذي أراد أن يصير مثل الله، وهم يريدون أن يصيروا كالابن. ومَن أراد أن يسير في هذا الاتجاه، سوف يسمع ما قيل عن الشيطان: "أنت إنسانٌ لا إله" (حزقيال ٢٨: ٢)". ويحذِّر الرسولي الكل: "لا تَقِس نفسك بإنسانٍ غنيٍّ وأنت فقير (أمثال ٢٣: ٤ س). وسقوط الشيطان –الذي أراد به الراحل الكريم قداسة البابا شنودة الثالث أن يُنكر شركتنا في الطبيعة الإلهية بزعم أننا نتحول إلى ذات الحياة الإلهية من حيث الوجود في كل مكان .. إلى آخر هذه الاتهامات– يجيب عليه الرسولي بأن التألُّه ليس مِنّا، بل هو كما يكتب يوحنا: "بهذا

نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه" (١يوحنا ٤: ١٣). "لذلك، فبسبب نعمة الروح الذي أُعطى لنا، نصير نحن فيه وهو فينا. وحيث أن روح الله فينا، لذلك وبواسطة سكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح، نُحسب أننا في الله وهكذا يكون الله فينا" (٣: ٢٤).

مقارنة لا تجوز في الأرثوذكسية:

في عبارة أنكرت الاستعلان الإلهي، كتب قداسة البابا شنودة: إن إنكار أُلوهية الابن هو "إما اعتبار الابن مخلوقًا أو اعتبار الإنسان إلهًا"، وهي عبارة صادمة تضرب تنازُل وإخلاء الابن وتجسُّده (فيلبي ٢: ٦)، وتضرب أيضًا سُكنى الروح القدس والتبني، ليس لأن الإنسان ارتفع، بل لأن الابن "نزل من السماء وتجسد" حسب اعتراف الآباء في مجمع نيقية ٣٢٥.

وأخيرًا: "نحن لا نصير في الآب مثلما الابن كائنٌ في الآب، لأن الابنَ ليس كائنًا في الآب بمجرد اشتراكه في الروح، ولا هو ينال الروح، بل بالحري هو ذاته الذي يَهَب الروح للجميع والروح لا يوحِّد الكلمة مع الآب، بل بالحري الروح يأخذ من الكلمة ... أما نحن فإننا بدون الروح القدس، نصبح غرباء عن الله ... وجودنا في الآب هو ليس مِنّا (أي من خصائص طبعنا المخلوق)، بل هو خاصٌّ بالروح الكائن فينا، والذي يسكن فينا ونحن نحتفظ به في داخلنا بالاعتراف كما قال يوحنا مَن اعترف أن يسوع ابن الله، فالله يسكن فيه وهو في الله (١يو ٤: ١٥). "الابن في الآب بطريقة، أمَّا نحن فنصير في الآب بطريقةٍ أخرى، وأننا لن نصير مثل الكلمة أبدًا، ولا الكلمة سيصير مثلنا" (٣: ٢٤).

ما ينكره الرسولي هو تحوُّل الإنسان إلى إله، أي تحوُّل الطبيعة، بينما نحن في

الله بسبب عطية الروح القدس، وهو الوضع الخاص بالإنسان، أما ما يخص الابن، فهو شركة الثالوث في الحياة أو الجوهر الإلهي الواحد.

بدون الروح القدس نحن غرباء عن الله:

لعل أقوى ما كُتب عن سكنى روح الله فينا ورد في الفقرة (٣: ٢٤): "وجودنا في الآب ليس منّا، بل هو خاصٌّ بالروح القدس الكائن فينا والذي يسكن فينا، ونحن نحتفظ (بالروح القدس) به في داخلنا عن طريق الاعتراف كما يقول يوحنا: "مَن اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يسكن فيه وهو في الله". لقد طلب الرب يسوع من الآب أن يعطي الروح القدس بواسطته للذين يؤمنون به (يسوع)، الذي به نصير في الله –كما كتب يوحنا– وبهذا نكون مُتَّحدين فيه" (٣: ٢٥).

"الاتحاد بالثالوث"، الموضوع الغائب من التعليم المعاصر:

إلى الأب متى المسكين يعود الفضل في بعث الوعي الأرثوذكسي الحقيقي عن اتحادنا بالثالوث القدوس في الابن وبالروح القدس. وعندما نُشِرت أول ترجمة عربية لرسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون (مكتبة مدارس أحد الجيزة بجهد أمين المكتبة الأستاذ جرجس صبحي)، بُعث الوعي من جديد في مقالات العنصرة (الباراكليت للأب متى المسكين)، وجاء الهجوم العشوائي، وجاء وقتٌ لم يجسر فيه أحد في الإكليريكية أن يتكلم عن سُكنى الروح القدس فينا طوال رئاسة أسقف التعليم.

ولكن لماذا نغترب عن الثالوث، إذا أنكرنا سُكنى الروح القدس؟

حسب كلمات الرسولي: "عندما نناله يصير لنا روح الكلمة (الابن) الذي

هو في الآب" (٣: ٢٥). وروح الابن (غلا ٤: ٤-٦) هو روح التبني، فإذا أنكرنا سُكنى الروح فينا، نتغرب عن التبني، ولن نتمجد حسب كلمات الرسولي: "بسبب الروح سوف نتمجد نحن أيضًا ونصير واحدًا في الكلمة، ومن خلاله في الآب" (٣: ٢٥).

هذا ما نفقده، وهو المصير الأبدي لأولاد الله.

الروح في الكلمة بسبب وحدة الجوهر، أو حسب تعبير الرسولي "هو بالطبيعة في الآب" (٣: ٢٥)، ولكن نحن ننال هذه النعمة بلا ندامة من الله (رو ١١: ٢٩).

لسنا في الثالوث من ذواتنا:

هكذا كتب الرسولي: "الروح كائنٌ في الله، ولسنا نحن (الكائنين) في الله بذواتنا"، ويكمِّل الرسولي: "إننا نصير أبناء وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا، هكذا أيضًا سنصير في الابن وفي الآب، بسبب وجود الروح القدس فينا نحن، وهو الروح الذي يكون في الكلمة الكائن في الآب" (٣: ٢٥).

الذين سقطوا من النعمة:

"حينما يسقط إنسان من الروح بسبب شرٍّ ما، فإنه يتوب ويرجع عن سقطته، فالنعمة تظل دائمة بلا ندامة في أولئك الذين يريدونها" (٣: ٢٥). ويقدِّم الرسول الملك شاول الذي فارقه روح الرب وبغته روحٌ رديء (١صموئيل ١٦: ١٤).

أساس التدبير:

نقل الأريوسيون ما قيل عن تجسد الله الكلمة إلى أُلوهيته، بغرض إنكار أُلوهية يسوع المسيح، وحَشَدَ القديس أثناسيوس كلمات العهد الجديد التي اختارها الأريوسيون في الفقرة (٣: ٢٦)، وهي معروفة لكل القراء، ولعل أقوى عبارات الرب نفسه هي صلاته في البستان، ثم "إلهي إلهي لماذا تركتني" (مت ٢٧: ٤٦).

وحشد الرسولي أسئلة الأريوسية:

+ كيف يجهل الابن اليوم والساعة (مرقس ١٣: ٣٢)؟

+ لو كان إلهًا حقيقيًّا من إله (الآب)، فكيف يمكن أن يصير إنسانًا؟

+ لو كان ابن الله، لَمَا كان قد قَبِل الصليب.

+ كيف يمكن أن يكون الذي ينام ويبكي ويطلب أن يعرف كإنسان، أن يكون هو الكلمة وهو الله؟ (٣: ٢٧).

والرسولي يؤكد أن الأريوسية هي ضلال اليهودية، بل هي ذات فكر يهوذا الاسخريوطي (٣: ٢٨)؛ لأنهم مثل اليهود أنكروا "حضور المخلِّص في الجسد" (٣: ٢٨).

ويحذِّر الرسولي الأريوسيين إمَّا أن تتمسكوا باسم المسيح، وإلَّا تكونوا قد جحدتم الايمان، لأن الايمان هو بإلهٍ متجسد (٣: ٢٨).

قاعدة الإيمان:

١- البحث عن الهدف في كلمات الوحي.

٢- الإعلان المزدوج عن المخلِّص، فهو أزليًا، ابنُ الله، وفي الزمان تجسد (٣: ٢٩).

٣- الكلمة لم يأتِ إلى بشرٍ كما كان قبل تجسده (٣: ٣٠)، بل تجسَّد.

٤- "صار جسدًا" عبارة تدعو الإنسان بلفظ "جسد" (يوئيل ٣: ٤).
٥- لقد قدَّس الكلمة القديسين الذين قبلوه (٣: ٣١)، ولكنه صار جسدًا عندما تجسَّد. "ولكن حينما جاء بيننا من مريم في نهاية الأزمنة لكي يُبطل الخطية، لأن الآب سُرَّ أن يرسل ابنه الذاتي مولودًا تحت الشريعة (غلا ٤: ٤)، فَحَلَّ في الجسد (كولوسي ٢: ٢٩) .. ولذلك قيل عن خواص الجسد إنها خاصة به مثل أن يجوع، وأن يعطش .. كان اللاهوت في الجسد لأن الجسد كان جسد الله" (٣: ٣١). ولم يكن التجسد مجرد فكرة، بل حقيقة عاشها الرب "لكي يفتدينا من أوجاعنا ونمتلئ من بر الكلمة" (٣: ٣١). "وهكذا صارت خواص الجسد خاصةً به" (٣: ٣٢).

جسد الله وتألُّه الإنسان في المسيح:

آلام الرب كانت لشفاء وتجديد الكيان الإنساني. كل أعماله تمت بواسطة الجسد، ولكنه شفى حماة بطرس بقوته الإلهية، وكذلك المولود الأعمى وأيضًا لعازر دعاه كإنسانٍ بصوت بشري، ولكنه إلهيًا كإله، أقام لعازر من الأموات .. لأنه كان قد اتخذ لنفسه جسدًا حقيقيًّا وليس خياليًّا" (٣: ٣٢). ما هو إلهي وما هي إنساني لا يمكن فصلهما لأن الفاعل هو الرب الواحد، لأن الجسد هو جسد الكلمة (٣: ٣٢).

يسأل الرسولي: "لو كانت أعمال أُلوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، **لَمَا كان الإنسان قد تألَّه**، وأيضًا لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسب للكلمة، لتعذَّر تحرُّر الإنسان منها .. وظلت الخطية وظل الفساد باقيان في الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشري قبله (قبل التجسد) (٣: ٣٣).

القديس اثناسيوس لم يُعلِّم بوراثة خطية آدم:

كتب الرسولي:

"هناك أمثلة لكثيرين قد تقدَّسوا وتطهَّروا من كل خطية مثل أرميا الذي تقدَّس من الرحم (أر ١: ٥)، ويوحنا الذي كان في بطن أمه جنينًا في البطن وارتكض بابتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله (لوقا ١: ٤٤)، ومع ذلك فقد مَلَكَ الموتُ من آدم إلى موسى (قبل الشريعة)، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم (رو ٥: ١٤)، وهكذا ظلَّ البشرُ مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرَّضين للأوجاع الخاصة، أما الآن؛ فلأن الكلمة قد صار إنسانًا وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصةً به، فلم تعد تلك الأمور تسود على الجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد أُبيدت الأوجاع بواسطته، ومنذ ذلك الحين فصاعدًا لم يبقَ البشرُ بعد خطاةً وأمواتًا بحسب أوجاعهم، بل قد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين .." (٣: ٣٣).

هكذا يجب أن نفهم أن التألُّه هو أبادة الخطية، وما تركته الخطية وهو الموت، ثم القيامة لعدم فساد.

نَقَلَ الابنُ بداية التكوين الإنساني إلى كيانه:

"وُلِدَ الجسد من مريم والدة الإله لأن الكلمة ذاته يُقال إنه قد وُلِد .. لكي ينقل بداية تكويننا إلى ذاته، ولكي لا نرجع بعد ذلك فيما بعد كمجرد تراب أُخذ من تراب الأرض، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السموات بواسطته .. نَقَلَ أوجاع الجسد الأخرى لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية .. لأننا لم نعد نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم .. نحن نقوم من الأرض، ولعنة الخطية

قد أُبطلت بسبب ذاك الكائن فينا، وقد صار لعنةً لأجلنا، وكما أننا جميعًا من الأرض وفي آدم نموت، هكذا نحن إذ نولد من فوق من الماء والروح، فإننا في المسيح نُحيا جميعًا .. الجسد لم يعد أرضيًا، بل يصير ناطقًا كالكلمة" (٣: ٣٣).

والعبارة الأخيرة "يصير ناطقًا بحسب الأصل اليوناني: λογωθειστης της σαρκος والنطق ليس هو الكلام بالفم فقط، بل هو استعلان ما هو في الكيان الإنساني. وما استُعلِن هنا هو الطبيعة السماوية غير الفاسدة التي غلبت الفساد والموت، وهو المدوَّن في نفس الفقرة: "الجسد لم يعد أرضيًّا".

وتألُّه ناسوت الرب، موضوعٌ ظاهر بالطبع بوضوح في سر الإفخارستيا؛ لأننا نتناول الجسد الممجَّد، وهو موضوعٌ شَغَلَ مساحةً أكبر في الرسالة إلى ادلفوس؛ لأن تجديد الناسوت لم يتم بشكل ميكانيكي بمجرد الاتحاد، بل جاء الكلمة وأخذ ما هو مخلوق "لكي يقدِّس الجسد ويعطي له الحياة" (ادلفوس: ٨). وفي الرسالة إلى مكسيموس كتب الرسولي: "نحن لا نتألَّه بالشركة في الجسد لإنسان مثلنا، وإنما بتناول جسد الكلمة نفسه" (فقرة: ٣). وفي الرسالة إلى ابكتيوس ٦: "تألَّمَ جسد الكلمة لأن سُكنى (حلول) الكلمة في الجسد تُنسَب إليه لكي نستطيع أن نشترك في الطبيعة الإلهية للكلمة".

آلام وموت الرب حسب التدبير:

عندما كتب الرسولي أن كلمة "الجسد" تُطلق على الإنسان كله (٣: ٣٠)، فإن كل شرح عن الجسد يعني أنه خاصٌّ "بالواحد" (٣: ٣٥)، وتخلي الرب الإرادي (فيلبي ٢: ٦) الذي عبَّر عنه الرب بكلمات قاطعة بأنه "لا يعرف"، وحسب كلمات القديس أثناسيوس: "الجسد (الإنسان) هو الذي يجهل" (٣: ٣٨)، وأنه

بسبب الجسد، أي استعلان تجسده، وتأكيد حقيقة إنسانيته (٣: ٣٩)، كان الجسد، أي الإنسان هو المحتاج إلى المجد والتألُّه (٣: ٣٩)، أي إلى ما هو ناقصٌ في الإنسان (٣: ٤٣). وكان الرب يسأل بشكل إنساني؛ لأنه كان يحيا ويُعلِّم البشر ويسأل جسديًا (كإنسان)، بينما كان يعرف إلهيًا" (٣: ٤٦). هذا ليس انشطارًا في جسد الرب الواحد، بل عند كمال التدبير لم يعد الرب يتحدث بشكل إنساني: "لم يعد يليق به أن يجيب حسب الجسد عندما كان صاعدًا إلى السموات، بل أن يُعلِّم بطريقة إلهية، فقال: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه .." (٣: ٤٨).

الاتحاد بالناسوت جعل الناسوت يحيا حياةً إنسانيةً:

في الفقرة (٣: ٥٢) عندما يذكر الرسولي "تقدُّم الجسد"، وبشكل دقيق عن نمو يسوع في القامة (لوقا ٢: ٥١) يؤكِّد المعلم أن التقدُّم كان في القامة، وهو خاصٌّ بالناسوت، ثم يضع أحد أساسات التدبير:

> "ففي تقدُّمه (في القامة) كان يزداد ظهور اللاهوت فيه لأولئك الذين رأوه، وكلما كان اللاهوت يُستعلَن أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس، فهو كطفلٍ حُمِل إلى الهيكل، وحينما صار صبيًّا بقى هناك في الهيكل .. كان جسده ينمو شيئًا فشيئًا، والكلمة كان يُظهر نفسه في الجسد" (٣: ٥٢).

هكذا يجب أن نفهم أن الاتحاد لم يكن:

١- سيطرةً واستبدادًا، بل اتحاد محبة لمحب البشر الذي قَبِل الإنسان كما هو.

٢- التقدم للناسوت "جعله يرتفع فوق الطبيعة الإنسانية ويتألَّه ويصير ظاهرًا للجميع كأداة الحكمة لأجل عمل اللاهوت واستعلانه" (٣: ٥٣). مات مصلوبًا

ولكن "ارتعب منه بوابو الجحيم" (٣: ٥٤ راجع ذكصولوجية عيد القيامة في التسبحة السنوية). والأهم هو هذه الكلمات: "الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص، بل بالخضوع إلى الطبيعة (الإنسانية)، وذلك رغم إرادة (الإنسان)، أمَّا الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن أخذ جسدًا مائتًا، فله السلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضًا حينما يريد (مزمور ١٦: ١٠) .. إنه أمرٌ مدهشٌ حقًا أن يكون الكلمة في الجسد المتألم .. ولم يمنع أولئك الذين تآمروا عليه ولا انتقم من أولئك الذين صلبوه .. لكن إذ يتألم في الجسد يجعل الجسد من الآن غير متألمٍ وغير مائت" (٣: ٥٧، ٥٨).

ذكصولوجية للقديس أثناسيوس الرسولي

يا صخرة الأرثوذكسية
الرسولي حقًا بعد الرسل
يا منارة الإسكندرية
فخر الديار المصرية
النفي والطرد
ومحاولات قتلك
لم تمنعك من الشهادة
يا صوت الحق في نيقية
الشاهد في ظلمة العالم
لنور الرب يسوع
الإله المتجسد
صلِّ لأجلنا

+ + +